

الوحدة : 3 التعريف بالشعر الجاهلي

٣ - تسليط الضوء على « الفحولة » في الشعر و «أيام العرب» :

أ - يُعتبر امرؤ القيس منذ القرن التاسع أباً للقصيدة التقليدية وفحلاً من فحول الشعر الجاهلي. ويضعه ابن قتيبة (م ٨٨٥) في كتاب «الشعر والشعراء» في الطبقة الأولى من الشعراء. يحتلّ امرؤ القيس - صاحب «المعلقة» التي مطلعها : « قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل / بسقط اللوى بين الدخول فحول » - مكانة خاصة في تاريخ الأدب العربي علماً بأنّ معلقته ما زالت مدرجة في المقررات المدرسية حتى يومنا هذا، الشيء الذي يجعل من هذا الشاعر شبه الأسطوري « فحلاً » من فحول الشعر العربي. ومفهوم الفحولة له معنيان : أولهما الفحولة الشعرية أي غزارة الإنتاج والطبع أي العفوية وعدم التصنع والقدرة على الارتجال وقوة الشعر والخيال. وثانيهما فحولة الفتى العاشق للنساء والصيد والمغامرات والخاضع في الوقت نفسه للقيم القبلية الجاهلية كالمروءة والشجاعة والبرّ بالوالد إلخ. ذكر في معلقته مغامرة « يوم الغدير » بدارة جُلجُل حيث أجبر العذارى على الخروج عاريات من الغدير الذي كنّ يستحمن فيه...

ب - ما المقصود بأيام العرب؟ وما مكان هذه الأيام في سجل الشعر العربي؟

يُقصد بأيام العرب المعارك التي كانت تُنشَب بينهم، أو بينهم وبين غيرهم في الجاهلية وفي بداية الإسلام. وقد كثر ورود الكلمة بهذا المعنى جمعاً ومفرداً في الشعر العربي القديم. قيل إن عدد هذه الأيام تفوق ١٢٠٠ يوم وإن لم نعرف بعضها إلا من خلال ذكرها في الشعر أو الأمثال.

تُسمّى هذه الأيام والحروب غالباً بأسماء الأماكن التي دارت بجانبها مثل « يوم عين أباغ » وكان بين المناذرة والغساسنة. ومن أشهر الأيام يوم « ذي قار » بين الفرس وقبائل بكر، وانتصر فيه العرب على الفرس انتصاراً ساحقاً، وثمة شعر كثير قيل في هذا اليوم.

وقد تسمّى بأسماء ما أحدث اشتعالها مثل « حرب البسوس » و« حرب داحس والغبراء »...

وكانت حرب البسوس أشهر حروب العرب في الجاهلية، وقد دارت بين قبيلتي بكر وتغلب في أواخر القرن الخامس الميلادي. وكان سببها اعتداء كليب سيّد تغلب على ناقة للبسوس خالة جسّاس بن مرة سيد بني بكر، إذ رمى ضرعها بسهم. ولما علم جسّاس بما حدث ثار لكرامته وقتل كليب. فاندلعت حرب طاحنة ظلت، فيما يقال أربعين سنة. فكثرت أيامها.

أما حرب « داحس والغبراء » فكانت في أواخر العصر الجاهلي. قامت الحرب بين عبس وذبيان من أجل سباق بين فارسين من القبيلتين أحدهما على جواد اسمه « داحس »، والثاني على فرس تسمى « الغبراء ». ولكن هذه الحرب خلدت شخصيتين عربيتين عظيمتين هما: هرم بن سنان والحارث بن عوف، فقد نهضا، ودعوا إلى الصلح، وحقق الدماء، وتحملا ديّات (prix du sang) القتلى من الطرفين.

وكانت حروب الشعر في أيام العرب لا تقل ضراوة عن حرب السيوف والرماح، فاتسع المجال للحماسة، والفخر والرثاء، والهجاء.